Empowerment in the Holy Qur'an: An Analysis of the Cosmic Verses in the Qur'an

Israa Rabie Obaid
dr.israa.r.obaid@uomustansiriyah.edu.iq
University of Mustansiriyah Baghdad, Iraq

Abstract: Empowerment is one of the universal Sunnahs emphasized in the Holy Qur'an, encompassing both individual and collective dimensions. While divine empowerment is granted to both believers and non-believers, its purpose differs—serving as a reward for the former and a lure for the latter. Despite its significance, the concept of empowerment in Qur'anic discourse remains underexplored, especially in its integration of spiritual and socio-political aspects. This study aims to investigate the multidimensional nature of empowerment in the Qur'an, elucidating its conceptual foundations and categorizing its types. The research employs a qualitative descriptive-analytical method, relying on thematic exegesis (tafsīr mawdū'ī) and content analysis of selected Qur'anic verses. The study is organized into an introduction and two main sections: the first discusses the concept of empowerment in light of Qur'anic terminology, and the second analyzes its various types and implications. Findings reveal that Qur'anic empowerment transcends political or social authority, integrating spiritual, epistemological, and ontological dimensions. It is closely tied to the believers' role as vicegerents (khulafā') on earth, guiding them to align faith, knowledge, and action with divine purpose. Furthermore, empowerment is portrayed as a process grounded in reflection upon cosmic signs, fostering a consciousness that blends moral integrity with practical capability. The study concludes that the Qur'anic vision of empowerment promotes a balanced framework in which ethical responsibility and societal influence are mutually reinforcing. This research contributes to the growing field of Qur'anic studies by offering a comprehensive model for understanding empowerment that bridges theology, ethics, and social leadership.

Keywords: *Empowerment, Holy Qur'an, Cosmic Verses, Tamkīn and Āyāt Kawniyyah*.

Abstrak: Pemberdayaan merupakan salah satu sunnah kauniyah yang ditekankan dalam Al-Qur'an, mencakup dimensi individu maupun kolektif. Pemberdayaan ilahi diberikan kepada orang beriman dan non-Muslim, namun dengan tujuan yang berbeda—sebagai ganjaran bagi yang beriman dan sebagai istidraj (umpan) bagi yang ingkar. Meskipun memiliki signifikansi yang besar, konsep pemberdayaan dalam wacana Al-Qur'an masih jarang dieksplorasi secara mendalam, khususnya dalam keterpaduan aspek spiritual dan sosial-politik. Penelitian ini bertujuan mengkaji sifat multidimensi pemberdayaan dalam Al-Qur'an, menjelaskan landasan konseptualnya, serta mengkategorikan jenis-jenisnya. Metode yang digunakan adalah kualitatif deskriptif-analitis dengan pendekatan tafsir tematik (tafsīr mawdū'ī) dan analisis isi terhadap ayat-ayat Al-Qur'an terpilih. Penelitian ini dibagi menjadi pendahuluan dan dua bagian utama: pembahasan pertama mengenai konsep pemberdayaan berdasarkan terminologi Al-Qur'an, dan pembahasan kedua mengenai jenis-jenis serta implikasinya.

Hasil penelitian menunjukkan bahwa pemberdayaan Qur'ani melampaui otoritas politik atau kekuasaan sosial, dengan mengintegrasikan dimensi spiritual, epistemologis, dan ontologis. Pemberdayaan memiliki keterkaitan erat dengan peran orang beriman sebagai khalifah di bumi, mengarahkan keterpaduan iman, ilmu, dan amal sesuai tujuan ilahi. Lebih jauh, pemberdayaan diposisikan sebagai proses yang berlandaskan perenungan tanda-tanda kosmik, membentuk kesadaran yang memadukan integritas moral dan kapasitas praktis. Penelitian ini menyimpulkan bahwa visi Qur'ani tentang pemberdayaan menekankan kerangka seimbang di mana tanggung jawab etis dan pengaruh sosial saling memperkuat. Penelitian ini berkontribusi pada kajian Al-Qur'an dengan menawarkan model komprehensif pemberdayaan yang menghubungkan teologi, etika, dan kepemimpinan sosial.

Kata Kunci: Pemberdayaan, Al-Qur'an, Ayat-Ayat Kosmik, Tamkīn, Āyāt Kawniyyah.

Submission : 29-05-2025
Revised : 15-07-2025
Accepted : 14-08-2025

المقدمة

يُعدُّ مفهوم التمكين من السنن الإلهية الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع عديدة، مقرونًا بأبعاد عقدية وأخلاقية وحضارية عميقة. فهو ليس مجرّد منحٍ للقوة أو السيطرة، بل هو ظاهرة قرآنية مركبة، تتداخل فيها عناصر الإيمان والعمل الصالح، والفهم العميق لسنن الله في الكون. ويبرز التمكين بوصفه وعدًا إلهيًا لعباده المؤمنين الصابرين، كما أنه قد يُمنح للكافرين على سبيل الإمهال والاستدراج، مما يجعله سنّة ذات أبعاد تربوية وعقائدية بالغة الأهمية (ابن كثير، ١٩٩٩).

لقد شهدت الساحة البحثية، ولا سيما في الدراسات القرآنية، اهتمامًا متزايدًا بمفهوم التمكين من زاوية السياسة الشرعية أو التنمية الاجتماعية، غير أنّ هذا الاهتمام ظلّ في كثير من الأحيان جزئيًا أو متركزًا على بعد واحد من أبعاده. الأمر الذي يثير قلق الباحث من غياب دراسة شاملة تُبرز التكامل بين الأبعاد العقدية والروحية والاجتماعية والسياسية للتمكين، مع ربطه بالآيات الكونية بوصفها مدخلًا لفهم فلسفته القرآنية (ذويب، ٢٠٢٤).

تنبع مشكلة البحث من هذا النقص في الدراسات التي تجمع بين تحليل التمكين كظاهرة قرآنية متكاملة، وقراءته في ضوء السنن الكونية والآيات الدالة على قدرة الله

ووحدانيته. فمعظم الدراسات السابقة إما تناولته من منظور تاريخي سردي، أو ركزت على البعد السياسي والاقتصادي، متغافلة عن الرؤية القرآنية الشاملة التي تدمج الإعداد الروحي والمعرفي مع التمكين المادي (القرني، ٢٠١٥). ومن هنا يتضح وجود فجوة بحثية تحتاج إلى معالجة علمية منهجية.

تُظهر مراجعة الأدبيات أنّ بعض الباحثين، مثل أبو زهرة (٢٠٠٦)، قد ركزوا على التمكين في سياق الدعوة والنصر، فيما ركز آخرون، كالشريف (٢٠١٨)، على دوره في تحقيق النهضة الاجتماعية، لكن قلما نجد دراسة تربط بين التمكين والآيات الكونية بوصفها أداة لإعداد الفرد والمجتمع نحو الاستخلاف الراشد. وهذه الفجوة المعرفية تفتح المجال لتقديم نموذج بحثي أصيل يدمج هذه الأبعاد في إطار واحد.

تأتي جدة هذه الدراسة من كونها لا تنظر إلى التمكين كمفهوم سلطوي أو سياسي فحسب، بل تعالجه كمنظومة متكاملة تبدأ من الإيمان، وتمر بالتأمل في الكون، وتنتهي إلى الفعل الحضاري، وهو ما يتطلب قراءة تحليلية للآيات الكونية في ضوء المقاصد الشرعية وسنن الله في التاريخ. ومن خلال هذا المنهج، تسعى الدراسة إلى بناء تصور نظري قادر على تفسير ظاهرة التمكين في القرآن الكريم بمنهجية تربط بين النظرية والتطبيق.

وإذا كان القرآن الكريم قد نصّ على أنّ التمكين مشروط بالإيمان والعمل الصالح كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ...﴾ [النور: ٥٥]، فإن هذا الشرط يُبرز العلاقة العضوية بين التمكين وبين السنن الإلهية التي تحكم حركة المجتمعات. فالتمكين ليس غاية في ذاته، بل هو ثمرة التفاعل بين البنية العقدية الراسخة، والإعداد المعرفي، والقدرة العملية (البوطي، ٢٠٠٤).

تسعى هذه الدراسة، من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، إلى تحليل النماذج القرآنية للتمكين وبيان كيفية تفعيلها في الواقع المعاصر. كما تهدف إلى توضيح كيف يمكن للإنسان، عبر التدبر في الآيات الكونية، أن يطوّر قدراته الروحية والعقلية والاجتماعية لبناء حضارة قائمة على العبودية لله، وتحقيق الأمن والاستقرار والعدالة. وهذا ما يمنح البحث قيمة عملية وفكرية في آن واحد.

ومن المتوقع أن تسهم نتائج هذه الدراسة في سد فجوة معرفية في حقل الدراسات القرآنية، وتقديم إطار مفاهيمي جديد لفهم التمكين بوصفه ظاهرة حضارية شاملة. كما يمكن أن تُستثمر مخرجاتها في مجالات التربية والدعوة والسياسة الشرعية، بما يعزز من قدرة المجتمعات المسلمة على توظيف القيم القرآنية في نهضتها الشاملة (ذويب، ٢٠٢٤؛ القرني، ٢٠١٥).وفي هذا السياق، يشير حمادي ذويب في دراسته الموسومة :أصول التشريع الإسلامي التكميلية: بين التقديس والدنيوة"، الصادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات سنة ٢٠٢٤، إلى أن التمكين في المفهوم القرآني لا يُفهم من منظور سلطوي فحسب، بل ينبثق من التفاعل الواعي مع مقاصد الشريعة وسنن الكون، بما يحقق التوازن بين الجانبين المادي والمعنوي في مسيرة الإنسا (ذويب، حمادي, ٢٠٢٤).

وانطلاقاً من هذا التصور، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الآيات الكونية في القرآن الكريم، وبيان دورها في تحقيق التمكين بمفهومه الشامل، وتوضيح كيف يمكن للإنسان من خلال التدبر فيها أن يُفعّل قدراته الروحية والعقلية والاجتماعية في سبيل بناء الحضارة وتحقيق الاستخلاف الراشد.

المنهج

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الاستنباطي، بعد أن استقرأت الآيات التي تناولت التمكين كمفهوم، والآيات التي تضمنت نماذج للتمكين، معتمدة في ذلك على ما كتبه علماء اللغة والتفسير في بيان دلالات ألفاظ التمكين، وسياقات وروده في النص القرآني، ودراسة الأبعاد العقدية والمعرفية والاجتماعية المترتبة عليه. وقد أفاد البحث من جهود المفسرين القدامى والمعاصرين، ومن أبرز ما تم الرجوع إليه في هذا السياق تفسير عدة المفسيرين، بالإضافة إلى القراءات المعاصرة التي سعت إلى ربط مفهوم التمكين بمقاصد الشريعة وسنن الكون.

كما استأنست الباحثة بالدراسات الحديثة التي ناقشت البنية المفهومية للتمكين، ومن ذلك ما ورد في دراسة العلماء التي أشار فيها إلى أن التمكين في القرآن ليس مجرد

سلطة زمنية، بل هو نتيجة لتفاعل الإنسان مع القيم الكونية والتشريعية التي تقوده إلى التمكين الأخلاقي والمعرفي أولاً، ثم التمكين العملي في الواقع (عبد الرحمن بدوي, ١٩٩٨).

البحث المناقشة

مفهوم التمكين

التمكين لغةً واصطلاحاً

التمكين لغة : قال ابن فارس (الميم والكاف والنون) اصل صحيح يدل على اثبات شيء في مكانه ، من ذلك مكنت فلاناً من الشيء اذا جعلت له سلطاناً عليه (أحمد بن فارس, ١٣٨٩). هو مصدر الفعل مَكَّنَ ، " مَكَّنهُ اللهُ من الشيء تَمْكِيناً وأمْكَنَهُ منه بمعنى ، وتَمَكَّنَ منه بمعنى ، واسْتَمْكَنَ الرجل من الشيء ، وفلان لا يُمْكِنُهُ النهوض أي لا يقدر عليه "(الجوهري, ١٩٨٧). يقول الفيومي : " مَكَّنْتُهُ من الشيء تمكيناً جعلت له عليه سلطاناً وقدرة فتمكّنَ منه ، واَسْتَمْكَنَ قدر علي وله مَكِنَةٌ أي قوة وشدة " (الفيومي, دون السنة). وذكر أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية ان التمكين يدل على معاني القوة والقدرة والاستقرار والعلو (أبو هلال العسكري, دون السنة).

التمكين اصطلاحاً

وعرفه محمد السيد محمد يوسف : " دراسة الأسباب التي أدت الى زوال التمكين عن الامة الاسلامية والمقومات التي بها ترجع الامة الى التمكين والعوائق التي تعترض العمل للتمكين ، ودراسة طبيعة الطريق الى التمكين وكذلك المبشرات على هذا الطريق وذلك كله في ضوء القرآن الكريم مع الاستعانة باحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) " (محمد السيد محمد يوسف, ١٩٩٧).

وعرفه فتحي يكن:" بلوغ حال من النصر، وامتلاك قدر من القوة وحيازة ، شيء من السلطة والسلطان وتأييد الجماهير والانصار والاتباع وهو لون من الوان الترسيخ في الأرض ، وعلو الشأن ". والنظر في التعاريف أعلاه نجد ان تعريف محمد السيد محمد يوسف لم يكن تعريفاً جامعاً مانعاً وانما كان إشارة الى أسباب عدم التمكين والدعوة الى العودة الى مقومات التمكين أما تعريف يكن فقد كان يحمل المعنى الذي ذكره الطبري في تفسيره لكن تعريفه

كان ادق من تعريف الطبري علماً ان كلا التعريفين ينسجم مع المعاني اللغوية للفظة تمكين .

لقد ذكر التمكين ثمانية عشرة مرة في القرآن الكريم وورد بصيغ متعددة فجاء (عشر مرات بصيغة الماضي و اربع مرات بصيغة المضارع واربع مرات بصيغة المبالغة (محمد فؤاد عبدالباقي, ١٣٦٤). فمن الماضي قوله تعالى (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ) سورة يوسف : ٥٦. ومن المضارع قوله تعالى (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) سورة القصص : ٥٧, ومن صيغة المبالغة قوله تعالى (ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) سورة التكوير : ٢٠.

أنواع التمكين في القرآن الكريم

عند تتبع الآيات القرآنية يتضح ان التمكين اما ان يكون فردياً أو جماعياً او بعبارة أخرى تمكين خاص وتمكين عام وسأتناول النوعين بالتفصيل في المطلبين الآتيين

التمكين الفردي (الخاص)

وهو تمكين لأفراد معيين دون غيرهم بمعنى انه تمكين خاص لشخص معين ، وقد حصل هذا التمكين لأفراد معينين ذكرهم القرآن الكريم وسأذكر منهم نماذج على سبيل المثال لا الحصر

أولاً :- التمكين لإبراهيم الخليل عليه السلام

أن جوانب التمكين في قصة إبراهيم كثيرة منها عندما قرر قومه القاءه في النار بعد ان تمكن من إبطال حججهم في عبادة الاصنام وصبره على دعوته لهم لعبادة الواحد القهار مكنه الله من النجاة من النار التي القي فيها قال تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) سورة الأنبياء : ٦٩.

يقول ابن عاشور : " فخابوا خيبة عظيمة وذلك ان خيبتهم جمع لهم بها سلامة إبراهيم من اثر عقابهم وان صار ما اعدوه للعقاب معجزة وتأييداً لا براهيم عليه السلام " (محمد الطاهر ابن عاشور, ١٩٨٤). ولما " اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من اوثان آنسنا وحشته من فراقهم وابدلناه منهم بمن هو خير منهم واكرم على الله منهم ،

فوهبنا له ابنه إسحاق وابن ابنه يعقوب بن إسحاق " (أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري, دون السنة). قال تعالى (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا) سورة مريم : ٤٩, أي تمكين واي نصر وهبة الله لخليله إبراهيم بأن ابدله بنبيين من صلبه بعد ان اعتزل قومه نصرة لدينه واعلاء لكلمة ربه ، ولهذا وغيره من المواقف التي سجلها إبراهيم في دعوته قومه وصفه الله بأنه امة ، قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ *وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) سورة النحل : ١٢٠ -١٢٢ أي " انه كان امة وحده في الدين ، لأنه لم يكن في وقت بعثته موحد لله غيره ، فهو الذي احيا الله به التوحيد ، وبثه في الامم والاقطار ، وبنى له معلماً عظيماً ، وهو الكعبة ، ودعا الناس الى حجه، لإشاعة ذكره بين الأمم ولم يزل باقياً على العصور " (محمد الطاهر ابن عاشور, ١٩٨٤). ما اعظمه من تمكين باق على مر العصور .

ثانيا :- التمكين ليوسف عليه السلام

الذي يتتبع قصة يوسف يجد ان الله قد مَكَّن له مرتين كما ذكرت ذلك سورة يوسف قال تعالى (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) سورة يوسف :٢١. وقال تعالى (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) سورة يوسف : ٥٦. فالآية إشارة الى تمكين جزئي والآية الثانية إشارة الى تمكين كلي ، يقول الشعراوي " وقد بدأ التمكين في الأرض من لحظة دخوله بيت عزيز مصر ليحيا حياة طيبة وليعلمه الله تأويل الاحاديث بأن يهبه القدرة على تفسير الرؤى والاحلام وليغلب الله على امره وهكذا كان تمكين الله ليوسف عليه السلام في الأرض بحيث ادار شؤون مصر " (محمد متولي الشعراوي, دون السنة).

يقول دكتور ناصر " في الآية إشارة الى ان دخوله بيت العزيز وما لقيه فيه من اكرام كان مبدأ تمكينه في ارض مصر والتمكين العام عندما اصبح عزيز مصر الآمر الناهي " (ناصر

سليمان العمر, ١٤٣٦). ولا شك ان كون النبوة ورئاسة الدولة في يد واحدة أمكن لأمر الرسالة واقوى لسلطان الدولة وادعى لنشر العدالة (مصطفى مسلم, ١٤٢٦).

والناظر في الاثنين يلحظ ان التمكين لدين الله طريق محفوف بالمكاره فالله سبحانه وتعالى يلفت انتباهنا ان التمكين ليوسف في الأرض لم يأت عبر خلافته لابيه يعقوب في النبوة ، وهو عزيز وسط اهله . وانما كان طريق التمكين له محفوفا بالغدر والخيانة من اخوته وهم اقرب الناس اليه ، ومليئاً بالخوف وغياب الأمن بعد ان القي في البئر طفلاً ليباع بعدها عبداً لا يملك من امره شيئاً ، ... فالأذى الذي طال يوسف لم ينته عند حقد اخوته عليه وغدرهم به ، وما يتبع ذلك من استلاب حريته ، وانما ظلت المحن تلاحقه في بيت العزيز ، فبعد ان اصبح شاباً يافعاً اغوى جماله امرأة العزيز وفُتِنَتْ به ، ومعها نسوة من زوجات كبار رجال الدولة ولأنه استعصم ورفض الاستجابة للحرام ، سجن ظلماً (السيد علي, ٢٠٢٤).

(قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ *قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) سورة يوسف : ٣٢ -٣٣.

كل ما سبق ذكره هو إشارات لما مَرّ به يوسف عليه السلام من محن واختبارات ولو وقفت عليها بالتفصيل اكثر لطال الحديث فما مَرّ بيوسف عليه السلام لا يمكن ان يغطيه بحث فما بالك ببعض الاسطر ، ومع كل ما مَرّ به كان صابراً واثقاً بالله وبتدبيره وتأييده وهذا هو سر تمكينه ، وحقيقة نحن بحاجه الى استحضار مثل هذه المعاني في حياتنا لتعود امتنا على ما كانت عليه من النصر والتمكين (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) سورة يوسف : ٢١.

ثالثاً:- التمكين لذي القرنين

القرآن الكريم عندما عرض لنا قصة ذي القرنين لم يقف على جوانب عديدة من شخصية ذي القرنين ، كَمَنْ هو ذو القرنين ، وفي أي ارض وجد وفي أي زمان كان وماهي الأماكن التي ذهب اليها وأين بنى سده ، والناظر في هذه الأسئلة ، لابد ان يكون متيقناً ان الله لما اهمل الحديث عنها كان ذلك لحكمة ، فالقران الكريم سلط الضوء على ما فيه عظة وعبرة

من قصته فاكتفى بذكر تمكينه ورحلاته الثلاث (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) سورة الكهف : ٨٤. انه عبد صالح رباني مَكَّن له رب العزة وآتاه من كل شيءٍ سبباً . يقول الدكتور مصطفى السباعي " ينصرف ذهن السامع أو القارئ الى وجوه التمكين له في الأرض : "مكّن له في العلوم والمعرفة واستقراء سنن الأمم والشعوب صعوداً وهبوطاً, مكّن له في أسباب القوة من الأسلحة والجيوش وأسباب القوة والمنعة والظفر, مكّن له في أسباب العمران وتخطيط المدن وشق القنوات وانماء الزراعة مهما قيل ومهما تصور من أسباب التمكين الحسنة التي تليق برجل رباني قد مكن له في هذه الأرض يمكن ان يدخل تحت قوله تعالى (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) ويبقى للتصور مجال وللخيال سعة لاستشفاف صور هذا التمكين واشكاله، (مصطفى مسلم, ١٤٢٦). قال ابن عباس " (وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) علماً يتسبب به الى ما يريد " (ابن الجزوي, ١٤٢٢). المتدبر في الآيات التي تحدثت عن ذي القرنين سيلحظ معالم للتمكين في رحلاته الثلاث (محمد علي الصلابي, ١٤٢٢).

رحلته الأولى الى اقصى المغرب

عرف ذا القرنين بالحاكم الصالح الذي مكن له في الأرض وأوتي من كل شيء سبباً ، فدالت لسلطته الأمم والشعوب وفتحت له الأقاليم ... فحكم فيها بالعدل والإحسان ، وعمران الأرض لما فيه خير العباد ودفع الفساد ، رفع الظلم والاعتداء (مصطفى مسلم, ١٤٢٦). (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا) (سورة الكهف : ٨٧) أي من استمر على كفره وشركه بربه وفساده فسوف ينال عقابه العادل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً شديداً بليغاً وجيعاً اليماً (ابن كثير, ١٩٩٨). هكذا كان حكم المسيء عند ذي القرنين واما المؤمن المحسن فيجد القرب من الحاكم العادل (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) سورة الكهف : ٨٨.

يقول سيد قطب " حين يجد المحسن في الجماعة جزاء احسانه جزاءً حسناً أو مكاناً كريماً وعوناً وتيسيراً، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة واهانة وجفوة ، عندئذ يجد الناس ما يحفزهم الى الصلاح والإنتاج " (سيد قطب, ١٩٧٢).

وهذا المنهج الرباني الذي سار عليه يدل على ايمانه وتقواه وعلى فطنته وذكائه وعلى عدله ورحمته ، لان الناس الذي قهرهم وفتح بلادهم ليسوا على مستوى واحد ، و لا على صفات واحدة ولذلك لا يجوز ان يعاملوا جمعياً معاملة واحدة ، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الصالح ومنهم الطالح فهل يتساوون في المعاملة ؟ (محمد علي الصلابي, ١٤٢٢).

وهذا منهج تربوي رسمه ذو القرنين لكل حاكم يريد ان يبني دولته على العدل والانصاف لا على الظلم

والفساد. فسياسة العدل تورث التمكين في الحكم والسلطة وفي قلوب الناس الحب والتكريم للمستقيمين، وإدخال الرعب في قلوب أهل الفساد والظلم (مصطفى مسلم, ١٤٢٦).

واما رحلته الثانية والتي صورت لنا وجهاً آخر للتمكين فكانت الى اقصى الشرق (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا *كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) سورة الكهف : ٩٠ -٩٢. القرآن لم يحدد المكان الذي ذهب اليه ذو القرنين و لا حتى القوم وانما اكتفى بالإشارة الى انهم في جهة المشرق ، يقول سيد قطب " انها ارض مكشوفة ، لا تحجبها عن الشمس مرتفعات ولا أشجار ، فالشمس تطلع على القوم فيها حين تطلع بلا ساتر وهذا الوصف ينطبق على الصحاري والسهوب الواسعة فهو لا يحدد مكاناً بعينه وكل ما ترجحه ان هذا المكان كان في اقصى الشرق حيث يجد الرائي ان الشمس تطلع على هذه الأرض المستوية المكشوفة ..... ، وقد يكون المقصود بقوله تعالى (لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا) انهم قوم عراة الاجسام لم يجعل لهم ستراً من الشمس " (سيد قطب, ١٩٧٢). لم يفصح ذي القرنين عن سياسته في رحلة المشرق وذلك لأنه قد بينها في رحلة المغرب وكما قلنا هو منهج رباني سلكه في كل رحلاته في البلاء المترامية الأطراف ، فدستوره واحد في كل البلاد التي مرّ بها لينشر العدل والأمان والاطمئنان. الا ان الرحلة الثالثة تختلف عن الرحلتين السابقتين من حيث طبيعة الأرض والتعامل مع البشر سكان المنطقة ومن حيث الاعمال التي قام بها فلم يقتصر على الاعمال الجهادية لكبح جماح الأشرار والمفسدين بل قام بعمل عمراني هائل (محمد علي الصلابي, ١٤٢٢).

اما طبيعة الأرض فقال عنها سبحانه وتعالى (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) سورة الكهف : ٩٣. والسدان هما جبلان . واما طبيعة البشر فقال عنهم سبحانه وتعالى (لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) سورة الكهف : ٩٣. واما العمل العمراني ، فهو بناء السد .

وملخص الرحلة الثالثة انه لما وصل بين الجبلين وقال اغلب المفسرين انهما جبلا ارمنية وأذربيجان (فخر الدين الرازي, ١٤٢٠). وجد من دون هذين الجبلين قوم لا يكادون يفقهون قولاً أي " انهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة .... فهؤلاء القوم كانوا يتكلمون بلغة غريبة لانقطاع أصقاعهم عن الاصقاع المعروفة فلا يوجد من يستطيع افهامهم .... ، ويجوز ان يكون المعنى انهم قوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم " (محمد الطاهر ابن عاشور, ١٩٨٤).

وهنا سنلحظ عنصر التمكين واضحاً من خلال تخطي ذو القرنين العقبات التي اشرنا اليها واستطاعته الوصول الى ماذا كان يريد هؤلاء القوم فهم قد شكو له من اقوام (يأجوج ومأجوج) وهم أقوام متوحشة مفسدة في الأرض طلبوا منه ان يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً مقابل المال لكنه رفض عرضهم وتطوع ببناء السد على ان يقدموا له كل ما يطلبه من العون البشري والمواد الأولية ،(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا *قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) سورة الكهف: ٩٣-٩٦. في الآية إشارة واضحة الى انهم لم يستطيعوا بناء سد بينهم وبين يأجوج ومأجوج بل حتى لم يستطيعوا ان يتقوا شرهم لذلك طلبوا من ذي القرنين بناء السد ظناً منهم انه قادر على ذلك وقد كان ظنهم في محله ، فأجابهم لطلبهم كما اشرت قبل قليل ويبرز عنصر التمكين واضحاً في معرفته العلمية بجغرافية المنطقة وفي المواد الأولية التي استخدمها (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. امرهم بأن يأتوه بقطع الحديد الضخمة ، فأخذ يبني بها شيئاً فشيئاً ثم قال لهم انفخوا بالكير في قطع الحديدية

الموضوعة بين الجبلين ، فلما أصبحت النار عظيمة قال :آتوني بالنحاس المذاب لأفرغه عليه فيصير مضاعف القوة والصلابة (سيد قطب, ١٩٧٢).

إن هؤلاء" الرجال الاشداء ذووا الخبرات الفنية العالية من النواحي العسكرية والعمرانية والاقتصادية الذين كانوا طوع بنان ذي القرنين ، وكذلك خضوع الأقاليم له وفتح الخزائن امامه وتقديم خراج الشعوب له طواعية كل ذلك لم يدخل على نفسه الغرور والبطر .....

بل بقى مثال الرجل المؤمن العفيف المترفع عن زينة الحياة الدنيا (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ), (هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي) فهاتان الآيتان اللاتان جاءتا على لسان ذي القرنين فيهما من الدلالة القاطعة على كونه كان مؤمناً صالحاً مترفعاً عن مفاتن الدنيا وغرورها .

التمكين العام (الجماعي)

وهذا النوع من التمكين يكون على مستوى الأمم والجماعات وهو اما يكون اختيار أو مكافئة وسيتضمن الحديث عن تمكين الله لرسله واتباعهم وتمكين الله للكافرين

اولاً تمكين الله لرسله واتباعهم

الوعد بالتمكين للأنبياء والمرسلين واتباعهم تكررت كثيراً في القرآن الكريم ، علماً ان الآيات التي تحدثت عن نصرة وتمكين الرسل جاءت مقرونة بمؤكدات كثيرة قال تعالى (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) سورة المجادلة: ٢١. وقال (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) سورة الأنبياء: ١٠٥. وقوله تعالى (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ *وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) سورة الصافات: ١٧١-١٧٣.

إن هذه الآيات وامثالها تشير الى نصر الله واعزاز اهل الايمان ممن يحرصون على الدعوة ويتحملون المشاق في سبيلها سواء كان الداعية رسولاً كريماً أو احد المؤمنين وهذا الاعزاز والانتصار والتمكين يكون في الدنيا قبل الآخرة (محمد علي الصلابي, ١٤٢٢). ومراتب التمكين في القرآن سبع (أحمد الشهري, دون السنة).

المرتبة الأولى :- السلامة من الخسران هذه هي المرتبة الأولى في سلم التمكين للجماعة المؤمنة وهي لازمة حتمية ولا يمكن ان تبدأ للتمكين بداية دون البداية بها ، قال تعالى

(وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) يقول الامام الشافعي (لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم) (أحمد الشهري, دون السنة). " وهي بحق في صميم موضوعنا وهو التمكين اذ لا ينبغي لعاقل ان يسأل عن وسائل التمكين وأسباب النصر قبل ان يرفع عن نفسه ومن معه دخائل الخسارة وموجبات النقص " (أحمد الشهري, دون السنة). فالسورة جزمت بأن الانسان في هلكة ونقصان مالم تتوفر فيه الصفات التي ذكرتها السورة وهي الايمان بالله والعمل الصالح والتواصي بالتمسك بالحق والعمل بطاعة الله والصبر على ذلك (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي,, ٢٠٠٠).

المرتبة الثانية :- التأييد التأييد في اللغة مصدر أيَّدتُه أي قَوَّيتُه (الخليل بن أحمد الفراهيدي, ١٤١٠).

ومنه ما وقع للنبي محمد صلى الله عليه (هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) سورة الانفال : ٦٢, هو الذي ايدك بنصره اول مرة ، وايدك بالمؤمنين الذي صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وجعل منهم قوة موحدة (سيد قطب, ١٩٧٢). ومنه ما وقع للمؤمنين (وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

هنا يذكر الله عباده المؤمنين كيف كانوا عددهم قليل مستضعفين غير ممكن لهم فآواهم وايدهم بنصره واصبحوا ظاهرين على عدوهم بعد ان وقع لهم التأييد والتمكين .

المرتبة الثالثة :- الظهور هو الظَّفَرُ بالشيء (الخليل بن أحمد الفراهيدي, ١٤١٠).

(الظاء والهاء والراء) اصل صحيح واحد يدل على قوةٍ وبروز ، والظهور الغلبة (أحمد ابن فارس, ١٩٦٩). ومنه قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) أي لينصره على كل الأديان ، ليكون مهيمناً عليها وخالداً الى قيام الساعة. ومنه قول مؤمن فرعون مخاطباً قومه (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ) أي غالبين منتصرين . وهذه المرتبة نتاج مرتبة التأييد وحصيلتها ، وهي مرتبة من التمكين وقد بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انها لن تنعدم من امته الى قيام الساعة فمهما أصاب الامة من نكبات ومهما ضعفت وتمزقت ونقص حظها من التمكين فلن تنعدم منها هذه

المرتبة من التمكين وهي الظهور في علو وقوة من فئة او جماعة في مشرق الأرض او غربها (أحمد الشهري, دون السنة)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين الى يوم القيامة) (مسلم بن الحجاج, ١٩٥٥).

المرتبة الرابعة :- النصر النون والصاد والراء صيح يدل على إتيان خير وإيتائه ، ونصر الله المسلمين ، آتاهم الظفر على عدوهم (أحمد ابن فارس, ١٩٦٩). ويتعدى (نَصَرَ) بـ (على) لتضمنه الغلبة (أبو البقاء الكفوي, دون السنة). والنصوص القرآنية التي دلت على هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ *وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) سورة الصافات : ١٧١ -١٧٣, وقوله تعالى (إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ) سورة آل عمران : ١٦٠, ومنه (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) سورة الروم :٤٧. لقد وعد الله رسوله واتباعهم بالنصر على اعدائهم في الدنيا وقد تحقق ذلك مع كل انبيائه ورسوله ، وفي الآخرة يدخلون الجنة وعدوهم في النار (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) سورة غافر : ٥١ .

المرتبة الخامسة : - الغلبة الغين والام والباء اصل يدل على قوة وقهر وشدةٍ (أحمد ابن فارس, ١٩٦٩). وهي رتبة اعلى ومرحلة يصل بها التمكين الى مشارف الكمال و لقد تكفل الله بها لرسله وجنده المؤمنين،(أحمد الشهري, دون السنة), قال تعالى (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) سورة المجادلة : ٢١ ، وقوله تعالى (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) سورة الصافات : ١٧٣. يقول الشنقيطي " وقد حقق العلماء ان غلبة الأنبياء على قسمين غلبة بالحجة والبيان ، وهي ثابتة لجميعهم ، وغلبة بالسيف والسنان ، وهي ثابته لخصوص الذين امروا منهم بالقتال في سبيل الله ، لأن من لم يؤمر بالقتال ليس بغالب ولا مغلوب لا نه لم يغلب في شيء " (محمد الأمين الشنقيطي, ١٩٩٥). قال تعالى (وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) سورة الصافات : ١١٦, فهذه الآية وان كانت تتحدث عن موسى وهارون إلا انها واقعاً تنطبق على كل الأنبياء. يقول ابن عاشور " أي هم الغالبون لغيرهم وغيرهم لم يغلبوهم أي لم يُغلبوا و لو مرة واحدة فان المنتصر قد ينتصر بعد ان يغلب في المواقع " (محمد الطاهر ابن عاشور, ١٩٨٤). المتأمل في النصوص القرآنية التي ورد فيها لفظ الغلبة يدرك ان غلبة الأنبياء واتباعهم سنه من سنن الله التي

لا تخلف . المرتبة السادسة : الملك والولاية تعتبر هذه المرتبة اعظم صور التمكين التي يهبها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المتقين بأن تكون ولاية الامر . والولاية تأتي بمعنى الامارة والنصرة والسلطان (الجوهري, ١٩٨٧).

" فولاية الامر ووحدة القيادة متحتمة لازمة في كل مراحل ومراتب التمكين ، ولكن حين يبلغ الحال باتباع دعوة الحق باتحادهم واجتماعهم على رجل واحد يكون ملكاً عليهم ، فهذه هي حالة التمكين العليا والأكثر في الامة الإسلامية وفي أمم الأرض جميعاً قديماً وحديثاً ، وليس فوقها الا الخلافة على منهاج النبوة فهي اعلى حالات التمكين لدعوة الحق) (أحمد الشهري, دون السنة).

والقرآن الكريم حافل بنماذج لهذه المرتبة من التمكين (مرتبة الملك) قال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة آل عمران : ٢٦, ولقد امتن الله سبحانه وتعالى بإعطاء الملك لأنبيائه ولعباده المؤمنين قال تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) سورة النساء :٥٤, أي يحسدون العرب على ما آتاهم الله من فضله فالآية مبشرة للعرب بالملك الذي يتبع النبوة والحكمة . المرتبة السابعة : الخلافة وهي "حمل المكانة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخرويه والدنيوية الراجعة اليها" (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون, ٢٠٠٤). فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به (محمد خلدون أحمد نورس مالكي, ٢٠١٠). المقصود من الخلافة هنا هو الخلافة على منهاج النبوة ، وهي اعلى مراتب التمكين ، والتي يقام بها الدين ، وليست خلافة دنيوية بعيدة عن منهاج الرباني ، قال تعالى (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) سورة ص : ٢٦.

يقول القرطبي " أي مكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ... فحكم بين الناس بالعدل ولا تقتد بهواك المخالف لأمر الله فيضلك عن سبيل الله "(أبو عبد الله، محمد بن أحمد

الأنصاري القرطبي, ١٩٦٤). قال تعالى (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) سورة الحج : ٤١.

مما سبق يتضح ان الوصول الى مرحلة الاستخلاف لابد من ان يسبقه تمحيص واختبار وابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب ولكي يكونوا مستحقين للاستخلاف بعد ان حققوا شروطه من الايمان والتوكل والعمل الصالح والثبات عليها وبعد تحقق الاستخلاف لابد من الثبات على إقامة احكام الدين والا سلب الله منهم هذه النعمة وهذا هو تمكين المكافأة

ثانياً : تمكين الله للكافرين

وهذا يكون اما على سنة الامهال والاملاء او على سنة المكافأة وسأضرب بعض الأمثلة لإيضاح ذلك فمما يمضي سنة الامهال والاملاء قوله تعالى (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة الانعام : ٤٤ -٤٥, والمعنى " فلما غفل وكذبوا الرسل السابقين ، عمّا ذكروا وخوّفوا به من البأساء والضراء وتركوا الاتعاظ به ، واستمروا في كفرهم وتكذيبهم ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من النعم لعلهم يذكرون بها فضل ربهم ويؤمنون به ويشكرونه ، حتى اذا بدلوا نعمة الله كفراً ، وفرحوا بما أعطوا بطراً وجحوداً اخذناهم بالعذاب "(لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر, ١٩٩٣).

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (واذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج) (أحمد بن حنبل, ٢٠٠١). ثم تلا الآية. يقول الالوسي في تفسير الآية " المراد انهم انهمكوا في معاصيهم ولم يتعظوا بما نالهم من البأساء والضراء فلما لم يتعظوا فتحنا عليم من النعم الكثيرة كالرخاء وسعة الرزق مكراً بهم واستدراجاً لهم "(محمود الألوسي, ١٩٩٤). وهذا ما حصل مع اقوام عاد وثمود وغيرهم من الأمم فقد مكن لهم الله قال تعالى (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) سورة الشعراء : ١٢٨ – ١٣٤, وقال عن قوم ثمود (أَتُتْرَكُونَ فِي

مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ) سورة الشعراء : ١٤٦ -١٤٩, وقال الله سبحانه وتعالى في آية جامعة تصور حال عاد وثمود وامثالهم من الأمم السابقة (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) سورة الانعام : ٦٠, وقال (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون) سورة الاحقاف : ٢٦ أي " ولقد مكنا عاداً كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون ، فلا تحسبوا ان ما مكناكم فيه مختص بكم وانه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئاً ، بل غيركم اعظم منكم تمكيناً فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئاً " (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي,, ٢٠٠٠).

وأما ما وقع من التمكين على سبيل الاختبار ما أعطاه الله لبني إسرائيل فسقطوا في الاختبار قال تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) سورة الأعراف : ١٦٨ أي فرقناهم في الأرض بعد ان كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده ومنهم دون الصلاح وبلوناهم بالعسر واليسر لعلهم يرجعون. إذن التمكين سنة من سنن الله الكونية يعطى للمؤمنين وللكافرين كل لحكمة يعلمها سبحانه فأما المؤمنون فيعلمون انه نعمة من ربهم واما الكافرون فيحسبوا بقوتهم ومنعتهم وصلوا اليه .

الخلاصة

بعد هذه الرحلة القصيرة مع مفهوم التمكين في القرآن الكريم استطيع ان اسجل هذه النتائج أن التمكين يكون للأمم المؤمنة وللأمم الكافرة, والتمكين اما يكون مكافأة أو اختبار وامهال وأن الله سبحانه وتعالى يستدرج الكافرين بالتمكين. لا يمكن ان تصل الامة الإسلامية الى مرحلة التمكين دون الاختبار والتمحيص والصبر على الابتلاء وان الله سبحانه وتعالى قد مكن لجميع انبيائه ولاتباعهم.

References

Al-ʿAsqalānī, M. b. A. (1964). *Al-jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān* (2nd ed.). Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Ibn al-Jawzī. (2001). *Zād al-masīr fī ʾilm al-tafsīr* (1st ed.). Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

Al-Ṣallābī, M. ʿA. (2001/1422 AH). *Tabṣirat al-muʾminīn bi-fiqh al-naṣr wa-al-tamkīn fī al-Qurʾān al-karīm*. Maktabat al-Ṣaḥābah.

Ibn Kathīr. (1998). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm* (1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn. (1999/1420 AH). *Mafātīḥ al-ghayb* (3rd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Shahrī, A. (n.d.). *ʿAwāmil al-naṣr wa-al-tamkīn fī daʿwāt al-mursalīn*. Wizārat al-Awqāf al-Suʿūdiyyah.

Al-Saʿdī, ʿA. b. Nāṣir. (2000). *Taysīr al-karīm al-raḥmān fī tafsīr kalām al-mannān* (1st ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Al-Ālūsī, Maḥmūd. (1994). *Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm wa-al-sabʿ al-mathānī* (1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn ʿĀshūr, M. al-Ṭ. (1984). *Taḥrīr al-maʿnā al-sadīd wa-tanwīr al-ʿaql al-jadīd min tafsīr al-kitāb al-majīd*. Al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.

Al-Ṭabarī, M. b. Jarīr. (n.d.). *Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān*. Dār al-Tarbiyyah wa-al-Turāth.

Al-Shaʿrāwī, M. M. (n.d.). *Tafsīr al-Shaʿrāwī*. Maṭābiʿ Akhbār al-Yawm.

Al-ʿUmar, Nāṣir Sulaymān. (2015/1436 AH). *Tadabbur sūrat Yūsuf tahdhīb (Āyāt lil-sāʾilīn)*. Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭaniyyah.

Al-Farāhīdī, al-Khalīl b. Aḥmad. (1990/1410 AH). *Kitāb al-ʿayn*. Muʾassasat Dār al-Hijrah.

Al-Kafawī, Abū al-Baqāʾ. (n.d.). *Al-kulliyyāt: Muʿjam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawiyyah*. Muʾassasat al-Risālah.

Al-Jawharī, Abū Naṣr Ismāʿīl b. Ḥammād. (1987). *Al-ṣaḥāḥ: Tāj al-lughah wa-ṣaḥāḥ al-ʿArabiyyah* (4th ed.). Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn.

Al-Fayūmī, Aḥmad b. Muḥammad. (n.d.). *Al-miṣbāḥ al-munīr fī gharīb al-sharḥ al-kabīr*. Al-Maktabah al-ʿIlmiyyah.

Al-ʿAskarī, Abū Hilāl. (n.d.). *Al-furūq al-lughawiyyah*. Dār al-ʿIlm wa-al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-Shinqīṭī, M. al-Amīn. (1995/1415 AH). *Aḍwāʾ al-bayān fī īḍāḥ al-Qurʾān bi-al-Qurʾān*. Dār al-Fikr.

Ibn Khaldūn, ʿAbd al-Raḥmān. (2004). *Muqaddimat Ibn Khaldūn*. Dār Yaʿrub.

Badawī, ʿAbd al-Raḥmān. (1998). *Al-baḥth al-ʿilmī: Ususuh wa-ṭarīqat kitābatih*. Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.

Aḥmad b. Ḥanbal. (2001). *Musnad al-Imām Aḥmad* (1st ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Dhuwayb, Ḥammādī. (2024). *Uṣūl al-tashrīʿ al-islāmī al-takmīliyyah: Bayn al-taqdīs wa-al-dunyawah*. Al-Markaz al-ʿArabī lil-Abḥāth wa-Dirāsat al-Siyāsāt.

ʿAbd al-Bāqī, Muḥammad Fuʾād. (1945/1364 AH). *Al-muʿjam al-mufahras li-alfāẓ al-Qurʾān al-karīm*. Dār al-Ḥadīth.

ʿAlī, al-Sayyid. (n.d.). *Durūs min sūrat Yūsuf: Khawāṭir ḥawla al-tamkīn li-ʿibād Allāh al-muʾminīn*.

Fāris, Aḥmad b. (1969–1972). *Muʿjam maqāyīs al-lughah* (2nd ed.). Maktabat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlādih.

Quṭb, Sayyid. (1972). *Fī ẓilāl al-Qurʾān*. Dār al-Shurūq.

Lajnah min al-ʿUlamāʾ bi-ishrāf Majmaʿ al-Buḥūth al-Islāmiyyah bi-al-Azhar. (1973–1993). *Al-tafsīr al-wasīṭ lil-Qurʾān al-karīm* (1st ed.). Al-Hayʾah al-ʿĀmmah li-Shuʾūn al-Maṭābiʿ al-Amīriyyah.

Muslim, Muṣṭafā. (2005). *Mabāḥith fī al-tafsīr al-mawḍūʿī* (4th ed.). Dār al-Qalam.

Muslim b. al-Ḥajjāj. (1955/1374 AH). *Ṣaḥīḥ Muslim*. Maṭbaʿat ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāʾuh.

Mālikī, M. Kh. A. N. (2010/1431 AH). *Taʿaddud al-khulafāʾ wa-waḥdat al-ummah fiqhān wa-tārīkhān wa-mustaqbalan* (Doctoral dissertation, University of Damascus).

Yūsuf, M. al-S. M. (1997). *Al-tamkīn li-al-ummah al-islāmiyyah fī ḍawʾ al-Qurʾān al-karīm*. Dār al-Salām lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ wa-al-Tarjamah.